مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد:4 (رت 66) السنة: 2022

صورة العرب لدى الغرب
جذور الماضي وتجليّات الحاضر

The image of Arabs in the West
roots of past and appearances of present

علي سردوك [1]
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
aliserdouk@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/12/30 القبول 2022/02/17 النشر على الخط 2022/05/10
Received 30/12/2020 Accepted 17/02/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

رسّخ الغرب صورة نمطية ومُقولبة عن العرب والإسلام خلال عملية معقدة ممتدة في عمق التاريخ، وقد ساهم في تكوين هذه الصورة عوامل دينية وسياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية. تعكس تلك الصورة تركيبا معقدا من المصالح والآراء والأحكام والتصورات، تم توظيف وسائل الإعلام لترويجها، رغم أن قوانين تلك الدول تمنع التفرقة في عرض الأفراد والجماعات بنوع من التحامل على أساس السن أو الجنس أو العرق أو القومية أو الدين. من الاستشراق والعلم إلى الإعلام والفن، كلها جذور ومصادر تؤسس لفهم عميق لتجلّيات الصورة المشوَّهة عن العرب والمسلمين في الذهن الواعي واللاواعي للمجتمع الغربي.

الكلمات المفتاحية: العرب؛ الغرب؛ الإسلام؛ وسائل الإعلام؛ الصور النمطية.

Abstract:

The West has established a stereotyped image of Arabs and Islam during a complex process extending deep into history. Religious, political, economic, cultural and media factors have contributed to forming this image. The latter reflects a complex combination of interests, opinions, judgments and perceptions, which the media have been used to promote, despite the laws of these countries prohibiting discrimination in presenting individuals and groups with some kind of prejudice based on age, gender, race, nationality or religion. From Orientalism and science to media and art, they are all roots and sources that establish a deep understanding of the distorted image appearances of Arabs and Muslims in the conscious and unconscious minds of Western society.

Keywords: Arabs; the West; Islam; The media; Stereotypes.

[1] المؤلّف المراسل: علي سردوك البريد الإلكتروني: aliserdouk@gmail.com

1. مقدمة :

رسّخ الغرب صورة نمطية ومُقولبة عن العرب والإسلام خلال عملية معقدة ممتدة في عمق التاريخ، وقد ساهم في تكوين هذه الصورة عوامل دينية وسياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية. تعكس تلك الصورة تركيبا معقدا من المصالح والآراء والأحكام والتصورات، تم توظيف وسائل الإعلام لترويجها، رغم أن قوانين تلك الدول تمنع التفرقة في عرض الأفراد والجماعات بنوع من التحامل على أساس السن أو الجنس أو العرق أو القومية أو الدين.

وقد أصبح الإسلام اليوم، أحد أهداف التصوير النمطي لدى وسائل الإعلام الغربية، من خلال تصوير العرب والمسلمين على أنهم «العدو الآخر» الذي يكنّ الحقد يشكل خطرا على الحضارة الغربية، ولعل أحداث سبتمبر الشهيرة شكّلت ذريعة لوسائل الإعلام الغربية لترسيخ تلك الصورة المقَوْلبة، خاصة وأننا نعيش في عصر سمعي بصري طغت فيه الصورة برونقها على ذهن المتلقي الغربي، وأصبحت ملاذا لتأجيج المشاعر المعادية للإسلام والمسلمين.

تتكون الصورة النمطية بفعل عوامل متعددة ومتناقضة، منطقية وغير منطقية، وتحمل في طياتها نزعة من التحيّز تبعدها عن الواقع الملموس، وتتضمن شيئا من التعميم والتبسيط مبالغ فيهما عند تعريف شخص أو جماعة أو بلد ما، ما ينتج عنه إهمال الخصائص الفردية، وعادة ما تتكوّن الصورة النمطية بشكل تراكمي على أساس التجربة المحدودة والأفكار البسيطة غير الموضوعية، والمستخلصة من مصادر مختلفة.

إن عملية التنميط ذات بعد إدراكي عميق، يقول فيكتور أرتيموف (V.Artemov) في هذا الصدد: «إن مضمون وتركيب التفكير والإدراك الفردي، متفاعل إلى حد كبير مع الإدراك المجتمعي العام، فالمفاهيم، والتقويمات، والمقولات المقولبة الراسخة في الوعي الفردي، هي خلطات مجمّعة للخبرة الاجتماعية العامة، وانعكاس للصفات العامة المتكررة للظاهرة»[1]. ولأن أفضل صور نمطية هي تلك التي تحتوي على قدر من الحقيقة، وأسوؤها تلك التي لا تحتوي على أية حقيقة، فإن مصادر المعلومة يمكن أن تجد حقيقة تدعم الصورة النمطية في حدث معين، ثم تقوم بتكرار هذه الحقيقة حتى يتقبّلها الجمهور على أنها واقع، وتصبح الصورة النمطية التي تدعمها هذه الحقيقة جزءا من ثقافة المجتمع، وتشكل سلوك أفراد الجماعة المسيطرة نحو الجماعات الاثنية أو الشعوب الأخرى[2].

من الاستشراق والعلم إلى الإعلام والفن، كلها جذور ومصادر تؤسس لفهم عميق لتجلّيات الصورة المشوَّهة عن العرب والمسلمين في الذهن الواعي واللاواعي للمجتمع الغربي.

2. الاستشراق وخلفياته الدينية والتاريخية:

الاستشراق هو المعرفة الغربية المؤسساتية بالشرق، وإنه نظام من المعرفة الغربية بالشرق، فرض مع مرور الوقت حدودا على الفكر المتعلق بالشرق، وتحوّل إلى أسلوب تفكير قائم على التمييز الأنطولوجي والابستمولوجي بين الشرق والغرب، ليشكل في الأخير

---

[1] فيكتور أرتيموف، الطبيعة الموضوعية للأنماط المقولبة واستخدامها في الدعاية الامبريالية في علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية، ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق: 1984، ص 112.

[2] Paul Martin Lester, Images That Injure: Pictorial Stereotypes in the Media, Praeger, California: 1996, p 19.

شرخا بين «الاستشراق» و «الشرق». فقد استجاب الاستشراق للثقافة التي أنتجته أكثر من استجابته لموضوعه الأصلي وهو «الشرق»، فالملاحِظ لفكر المستشرقين يلتمس تصويرا لا موضوعيا لشرق متخلف جامد وثابت غير متغير وفق ظروف الزمن، ومبرزا في ذات السياق تحيزا لفكرة التفوق الحضاري الغربي على الشرق[1].

إن السمة البارزة في الاستشراق الأكاديمي هو إلغاء خصائص الشرق الفكرية والحضارية، واعتماده على مفهوم «الثبات» في بنائه الأيديولوجي عن الآخر، ليشكل بذلك صورة نمطية مقولبة عن الشرق تحمل شيئا من التبسيط المبالغ فيه[2].

يقول ويليم لوختنبرغ (W.Leuchtenburg)، موضّحا أسباب ذلك التبسيط في الاستشراق الفكري الأمريكي تحديدا كنموذج غربي: «إنّ أبرز جانب من العلاقة بين الثقافتين العربية والأمريكية، هو أن العرب بالنسبة إلى الأمريكيين شعب عاش خارج التاريخ، ذلك أن المرء قد يقرأ أي سرد معتاد لهذا التاريخ، حتى الأزمنة الحديثة، فيستخلص منه انطباعا إمّا بأن العرب لم يكن لديهم تاريخ، أو أنّه تاريخ عديم الشأن تماما» [3].

تاريخيا، مرت معرفة الغرب بالشرق بمراحل متعددة؛ فقد ورثت أوروبا الصورة السلبية التي حملتها الحضارات القديمة عن القبائل العربية، غذّتها محدودية المعرفة والاتصال بالعرب.

فالبيزنطيون مثلا، لم يكترثوا بالقبائل العربية إلا قليلا، وانحصر اهتمامهم بهم كحلفاء ضد الفرس، وكان يُنظر إليهم كقبائل فقيرة بدائية، وقطّاع طرق، وبرابرة همجيون، ليسوا أهلا للثقة[4].

وتسرّبت آراء البيزنطيين عن العرب إلى أوروبا فكونت جزءا من الصورة النمطية عنهم، وبعد انتشار الإسلام أضيفت صور أخرى لتلك الصورة السلبية لتتحول إلى حقد وعداء مباشر اتجاه العرب والمسلمين، وساعدت صورة العدو تلك في تنميط العرب بخصائص تحفّز الشعور بالرهبة والخوف منهم[5]. واستمرت تلك القولبة النمطية في التنامي مع فتح الأندلس والحملات الإسلامية المرتبطة به، ليصبح العرب والمسلمون على إثرها رمزا للرعب والدمار والوحشية في ذهن الأوروبي. أما في القرون الوسطى، فإن انتقال السلطة آنذاك إلى الكنيسة قد حوّل الصراع بين أوروبا والعرب إلى صراع ديني بامتياز جسّده ما يعرف بالحملات الصليبية، التي طورت صورا قاتمة مناهضة للإسلام والمسلمين، فانتشرت مظاهر الاستخفاف بالدين الإسلامي، واعتبر العرب كوثنيين يعبدون محمدا، ونسبت إليهم خصال سيئة كالجهل والغدر والوحشية، رغم أن العرب حينها هم من كانوا يعانون ويلات تلك الحروب[6].

---

[1] صادق جلال العظم، الاستشراق والاستشراق معكوسا، دار الحداثة، بيروت: 1981، ص6.

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] William Leuchtenburg, The American Perception of the Arab World, In: George Atiyeh, Arab and American Cultures, American Entreprise Institute for Public Policy Research, Washington D.C: 1977, pp 15-16.

[4] ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 2000، ص22.

[5] المرجع نفسه، ص89.

[6] ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص23.

فقد أظهرت الكنيسة، في القرون الوسطى، صورة مشوَّهة عن الإسلام والمسلمين، وكانت مصدرا لربطهم ذهنيا بأوصاف بشعة مثل: الإسماعيليون الهمجيون، البرابرة، قبيحو المظهر، أمّة اللوم والخداع، وغيرها من الصفات التي تقدم فكرة واضحة عن طبيعة الصورة القروسطية عن الإسلام[1].

فالبابا جون الثامن (Jean VIII) مثلا، يصف المسلمين، في رسالة له إلى الملك «شارل لوشوف» بهذه العبارات: «إن الدمار الذي ألحقه المسلمون الذين هبطوا إلى الأرض، يحتاج وصفه إلى لغات تكون بقدر عدد أوراق أشجار البلاد التي اجتاحوها» [2].

ويرى المفكر البريطاني المستشرق برنارد لويس (B. Lewis) في مقال له بعنوان «جذور الهيجان المسلم» : «إنّ الإسلام قد شَكّل على فترات زمنية، موجة من العنف والحقد الموجه ضدنا نحن المسيحيون...إن الصراع بين الغرب والإسلام استمر حتى الآن على مدى أربعة عشر قرنا، وقد تَكوّن من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة، الجهاد والحملات الصليبية، الغزو والاسترداد، قضى فيها المسلمون الألف سنة الأولى في الهجوم على المسيحيين الذين عاشوا حينها تحت التهديد» [3].

ورغم الزمن الطويل الذي مر على نهاية الحروب الصليبية، إلا أن بعض السياسيين والمفكرين والباحثين لازالوا يفكّرون بمنطق تلك الحروب. ويقول مراد هوفمان (M.Hofmann) في هذا الصدد: «في الحقيقة، إن الصدمة التي سببتها الحروب الصليبية هي أعمق في الغرب منها في الشرق، ونتجت هذه الصدمة عن الدهشة التي تلقّاها الصليبيون عندما تبيّن لهم أن المسلمين الذين يفترض بهم أنهم برابرة وثنيون، هم أكثر تطورا وتحضرا في مجال العلوم. وإن تسامح وكرم وأمانة وحكمة القائد العسكري صلاح الدين الأيوبي أصبحت صفات أسطورية في الغرب الآن، وإن طرد المسلمين واليهود من الأندلس عام 1432 هي حالة مبكرة من التطهير العرقي الديني على طريقة (كاراديتش) في البوسنة»[4]. بل إنّ تلك الخلفية الدينية لا يمكن عزلها أيضا عن الحرب الأمريكية على الإرهاب، فحسب الفيلسوف جاك دريدا (J .Derrida) مثلا، فالقيادة الأمريكية لاتزال مشبّعة بعصبية دينية (على عكس ما يروّج) في تسييرها للقضايا الدولية من بينها الحرب على الإرهاب، التي تعّد في ظاهرها دفاعا عن النفس، لكنها تخفي باطنيا عذرا للتهجم على عقيدة دينية معارضة وهي الإسلام. والمتأمّل للخطاب الرسمي للقادة الأمريكيين، يلحظ طغيان بعض العبارات الأصيلة في الكتابات المسيحية المقدسة على رأسها مثلا عبارة: «فليبارك الرب أمريكا» (God Bless America) [5]، لذلك لا يمكن يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار الفكر السياسي الأمريكي والغربي عموما «لائكيا»، ولا يعد ذلك –تاريخيا– إلا استمرارا

---

[1] http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2006/2/26/التصوير-كوسيط-لخطاب-الكراهية

[2] الصادق رابح، في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام، مقال منشور في: مجلة الصورة والاتصال، عدد 1 و2، مخبر الاتصال الجماهيري وسيميولوجية الأنظمة البصرية، جامعة وهران: سبتمبر 2012، ص 121.

[3] Bernard Lewis, the Roots of Muslim Rage. Available at:
http://www.theatlantic.com/magazine/archive/1990/09/the-roots-of-muslim-rage/304643/

[4] مراد هوفمان، العقلية الأوروبية والإسلام، جريدة الشرق الأوسط، لندن: 14 مارس 1994، ص07.

[5] جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ترجمة خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة: 2013، ص191.

للحروب الصليبية التي لاتزال عقليتها يقظة على نطاق واسع، يمكن على أساسها تفسير نظرية الهيمنة الفكرية عند كل من فرانسيس فوكوياما وصامويل هانتيغتون[1].

وقد دعّم تلك الصور معظم التقارير التي حرّرها التجار والرحّالة الأوروبيون الذين زاروا الشرق الأوسط في القرنين السادس والسابع عشر إبّان الحكم العثماني، وما إن ترجمت قصص ألف ليلة وليلة إلى اللغات الغربية في القرن الثامن عشر حتى أصبحت وسيلة للسخرية من العرب، وتم اعتبار شخصيات الحكايات كمرجع لوصف العرب والمسلمين، وأخذوا يعتبرونهم بدائيون، وشهوانيون، وكسالى يؤمنون بالخرافات[2]. ومع تكريس عصر السيطرة الاستعمارية الغربية على الشرق ابتداء من القرن التاسع عشر، عاد الاستعمار ليحيي صور التخلف والفقر عن العربي والمسلم، والمصحوبة بتكريس النزعة التفوّقية الحضارية للفرد الغربي على كل الأصعدة[3]. وهو اليوم (أي الاستعمار السابق) يتحمل وزر ميراث فكري وذهني حول مسؤولية الغرب عن تخلف البلدان العربية وبلدان العالم الثالث بصفة عامة، يحاول الإعلام الغربي تقويضه من خلال الترويج لفكرة أن الاستعمار الغربي مصدر لتحضر الأمم المحتلة[4].

وبالتالي فإن الجزم بأن عملية تشويه صورة الإسلام والمسلمين، قد انطلقت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يعتبر خطأ في التأريخ، فلم يحدث أن تخلّى الغرب في أي فترة من فترات التاريخ عن عدائه للإسلام[5].

3. الكتب المدرسية:

لقد شكّل الفكر الاستشراقي استراتيجية شاملة لتكوين الأنساق المعرفية والفكرية الغربية اتجاه العرب والمسلمين، وتحوّل إلى سياسة لتنشئة الأجيال المتعاقبة وفق تلك النظرة السلبية والعنصرية، فوجد له مكانا ضمن المناهج المدرسية في مراحل التعليم المختلفة.

فقد قام الباحث إياد قزار من جامعة «كاليفورنيا» بدراسة تحليلية ل 36 كتابا مدرسيا في العلوم الاجتماعية، وخلص في دراسته تلك إلى ما يلي[6]:

-تقدم تلك الكتب صورة مشوهة عن العقيدة الإسلامية.

-تجسّد تفوق الحضارة الغربية، مع التقليل من أهمية الإسهامات العربية والإسلامية في الحضارة العالمية.

-تكرّس صورة العربي كتاجر رقيق، ومتخلف، وبدوي، وقاطع طريق.

-يقترن الدين الإسلامي بسلوك العنف والقتل.

-تصوَّر المرأة العربية بأنماط الجارية والمتخلفة والمقهورة من قبل الرجل العربي.

-تصوّر فلسطين كأرض خالية متخلفة، جعلها اليهود فيما بعد حضارة مزدهرة.

---

[1] مراد هوفمان، مرجع سابق، ص07.

[2] Nasser Sarre, The Arabs and The English, Longman, London: 1979, pp 64-65.

[3] أديب خضور، صورة العرب في الإعلام الغربي، المكتبة الإعلامية، دمشق: 2009، ص22.

[4] أحمد عبد الرحمن موسى، الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين، زهور المعرفة والبركة، مكة المكرمة: 2013، ص 48.

[5] سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، مكتبة الفلاح، عمان: 2005، ص72.

[6] أديب خضور، مرجع سابق، ص32.

كما قام الباحث الأمريكي غلين بيري (G.Perry) من جامعة «إنديانا» بدراسة تحليلية لعشرين كتابا في مرحلتي المتوسط والثانوي، وتوصل في نهاية الدراسة إلى أن تلك الكتب تصور الإسلام ديانة غير متسامحة تدعو إلى العنف، وأن القرآن كتاب ألفه محمد، وأن نشر الإسلام تم بحد السيف. والمرأة العربية متخلفة ولا تعد أكثر من أداة للتوليد والمتعة، وإن العرب عموما هم قبائل من البدو الرحل، على عكس اليهود الذين اعتبروا مصدرا للتطور في منطقة الشرق الأوسط [1].

وفي كتب التاريخ، لطالما صوّر المسلمون على أنهم برابرة متوحشون، ويتم استخدام كلمة «الغزو» بدل «الفتح الإسلامي»، واعتبر القرآن الكريم كتابا يعرض تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم، وليس وحيا من عند الله. وأخطر ما في الأمر، أن هذه المضامين تدرَّس للأطفال في سنوات تعليمهم الأولى، وبالتالي ينشأ الطفل الغربي على مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين قد تترسّخ في ذهنه[2].

4. الأدب:

لقد نظر ألفونس دولامارتين (A.De Lamartine) على سبيل المثال، إلى فلسطين على أنها أرض بور خالية تنتظر الازدهار، وأن العدد القليل من السكان الذين كانوا فيها هم بدو رحل لا وزن لهم، ولا حق لهم في هذه الأرض، وإنهم دون كيان ثقافي أو قومي[3].

أمّا غوستاف فلوبير (G. Flaubert)، وبسبب علاقته بالعالمة المصرية «كشك هانم»، صوّر المرأة الشرقية بأنها ليست أكثر من آلة[4].

وفي كتاب «التعصب أو محمد النبي» المهدى إلى البابا من قبل الكاتب الفرنسي الشهير فولتير(Voltaire)، والذي حُوِّل فيما بعد إلى مسرحية، فقد صوّر النبي صلى الله عليه وسلم في شكل الطاغية الوحشي والدجال والشهواني. رغم أن ذات الكاتب نقل في مؤلفات أخرى صورا مادحة للإسلام، فقد ذكر مثلا في إحدى كتبه أن الإسلام «أروع دين جاء من عند الإله»، وفي مقام آخر فقد فند فكرة أن الإسلام انتشر بحد السيف وأكّد أن النبوغ العربي وإنجازاته الثقافية قد تمت تحت راية الإسلام، وهو ما يؤكد أن فولتير كاتب متناقض الرؤى بامتياز[5]. أما الكاتب دو كوندورسي (N. De Condorcet)، فقد كتب واصفا الإسلام : «بالنظر إلى كل الأنظمة السياسية والدينية التي يرزخ تحتها الجنس البشري، فإن النظام الإسلامي هو أكثر هذه النظم التي لا تترك مجالا للحرية»[6]. وفي ذات الإطار، فقد اعتبر مواطنه دينيس ديدرو (D.Diderot) أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ألذ أعداء أعداء الاعتدال والحكمة، أما الأديب دانتي أليغييري (D. Alighieri)، فقد صنف الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن قائمة الأشرار الذي يستحقون العذاب الجهنّمي، إضافة إلى كل من: علي بن أبي طالب، وابن سينا، وابن رشد، وصلاح الدين الأيوبي.

---

(1) Glenn Perry, Treatment of the Middle East in American High School Textbooks, Journal of Palestine Studies, vol 4, no 3, University of California Press, California:1975, pp 46 – 58.

(2) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص35.

(3) لخضر خلفاوي، العلمانية العمياء: عظماء التاريخ الغربي يمجّدون النبي محمد...وحثالاته يسبونه، متوفر عبر الأنترنت: www.elwatandz.com/culture/23891.html

(4) أديب خضور، مرجع سابق، ص37.

(5) الصادق رابح، مرجع سابق، ص123.

(6) المرجع نفسه، ص124.

في حين اعتبر المفكر الألماني يوهان غوته (Goethe. J)، وبكل استعلاء وعجرفة، أنّ القرآن الكريم ما هو إلا تكرار لا نهاية له من الأمور البديهية[1]، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد نَصَب حول العرب غلافا دينيا كئيبا، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي[2]. وقد ساير غوته في التهجم على القرآن الكريم، الفيلسوف الفرنسي إتيان بونو دو كوندياك (E. B. de Condillac)، حين اعتبر القرآن الكريم مشروعا محمديا أنشأه بمحض الصدفة، واستطاع أن يُتِّمه بفضل جرأة احتياله. وزعم ذات الفيلسوف أن الرسول صلى الله عليه وسلم مصاب بالصرع، استطاع أن يوهم زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها في احدى نوباته أن الله يحدثه، فقامت بنشر الخبر إلى الناس، ومن ثَّم اتبعوه مصدّقين لكذبته[3].

وفي كتاب «أزمة الإسلام» للمستشرق البريطاني برنارد لويس (B.Lewis)، أساء هذا الأخير للإسلام ورموزه، واتهمه بالتخلّف ورفض الحداثة، وجعله في ذات السياق مقترنا بالإرهاب، عندما قال: «إنّ الإرهاب الإسلامي يمكن تفسيره بأنه موقف عصبي غير سوي إزاء حداثة مستحيلة تتطلب لتحقيقها الانسلاخ والانفصال عن المرجعية الإسلامية، ومُعضلة الإسلام التي تحول بينه وبين الدخول في الحداثة هي الامتزاج الجوهري بين الدين والسلطة فيه، فالمجتمع الإسلامي منذ نشأته في عصر النبي محمد له طبيعة مزدوجة، فهو من جهة كيان سياسي، سلطة قبلية أصبحت دولة ثم امبراطورية، ومن جهة أخرى فهو مجموعة دينية أسّسها نبي ثم حكمها قادة كانوا هم أيضا خلفاؤه...إنّ النبي رسول وحاكم، والله حاكم أعلى للدولة، له جيشه المشكّل من الرسول وخلفائه، ودوره هو طرد أعدائهم ومعاقبتهم انتظارا لخلودهم في جهنم»[4].

وفي ذات السياق، اعتبر المفكر البريطاني جورج سايل (G.Sale) أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن بشكل لا يقبل الجدل[5].

أما الكاتب المسيحي الأمريكي المحافظ بات روبرتسون (P. Robertson)، فقد جنح نحو التطرف في كتاباته المعادية للإسلام والمسلمين، عندما اعتبر أكثر من مرة أن المسلمين أسوأ من النازيين[6].

أما الأديب الفرنسي بيير بايل (P.Bayle)، فقد ذكر في كتابه (القاموس التاريخي والنقدي): «إن الملاك جبريل قد علّم النبي محمد وصفة طبخ تمنحه القوة الفائقة للاستمتاع بالنساء، وعندما أكل منها أول مرة كان من القوة بحيث هزم أربعين رجلا وضاجع أربعين امرأة دون تعب»[7].

---

(1) Erich Von Follath, Wer War Mohammed? Das Geheimnis Des Islam. Available online at : http://www.spiegel.de/spiegel/print/d-19337202.html

(2) رجب البنا، تشويه الإسلام صناعة قديمة، مجلة أكتوبر، القاهرة: 3 نوفمبر 2002، ص 10.

(3) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص 51.

(4) Bernard Lewis, L'islam en Crise, Gallimard, Paris: 2003, p35.

(5) رجب البنا، تشويه القرآن في ترجمته على يد أعدائه، مجلة أكتوبر، القاهرة: 8 ديسمبر 2002، ص 08.

(6) يحي الشيخ صالح، الإسلام بعيون غربية: الخوف والتزييف، في مؤتمر: ثقافة الخوف، جامعة فيلادلفيا، عمان: 24-26 نيسان/ أبريل 2006، ص 302.

(7) رجب البنا، تشويه القرآن في ترجمته على يد أعدائه، مرجع سابق، ص 13.

أما عالم اللاهوت الألماني مارتن لوثر (M.Luther) فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: «إنّه خادم العاهرات وصائد المومسات»، وأضاف: «أرى أن القساوسة عليهم أن يخطبوا الآن أمام الشعب عن فضائح محمد حتى يزداد المسيحيون عداء له، فيقوى إيمانهم بالمسيحية، وتتضاعف إثارتهم للحرب ضد المسلمين»[1].

وتعتبر مكانة المرأة في الإسلام من بين أكثر القضايا التي تعرضت للتشويه والتزييف في الكتابات الغربية، وفي هذا الإطار يقول المستشرق الألماني جيرنوت روتر (G.Rotter): «إنه بجانب فكرة عدوانية الإسلام، تحتل المرأة المسلمة الصدارة في صورة الإسلام كعدو، وهي فكرة نمطية ثابتة تعود جذورها إلى القرون الوسطى، حيث أن وعد القرآن للمؤمنين بالحور العين في الجنة، وحق المسلم في الزواج بأربعة نساء، قد ساعد بعض الكتاب الغربيين في تصوير الإسلام على أنه دين شهواني بامتياز»[2].

وقد اعتبر القس أيمبريخو فون فورتزبورغ (E.Von *Würzburg*)، أنّ الإسلام دين قهر للمرأة حين قال: «إنّ المسلمين يحتفلون بجميع أشكال الزواج التي تحرمها الشريعة الإلهية، ولأنهم جرّدوا المرأة المسلمة من حقوقها الطبيعية، فإنها تسعى إلى ممارسة السحاق مع نظيراتها»[3].

ولم تختلف السمات العامة للأدب الغربي المعاصر عن نظيراتها الأقدم، رغم أن حدّة التهجّم على الإسلام والمسلمين قد انخفضت نسبيا، ومع ذلك فالمتتبع لتلك الكتابات يلتمس مظاهر أخرى للإساءة للعرب والمسلمين، أبرزها التحيّز غير المنطقي لصالح اليهود ضد المسلمين، سواء في الرواية أو في المسرحية أو حتى في الشعر.

أمّا الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تتميز على غرار قريناتها الأوروبية بحدّة معاداة الإسلام والمسلمين في بعض الإنتاجات الأدبية الروائية، ربمّا بحكم حداثة التاريخ الفكري للولايات المتحدة الأمريكية الذي لم يعايش عصر التطرف الفكري المستند للتعصب الديني المنتشر في أوروبا قديما. لكن على جانب آخر، فالأدب العلمي المتخصص في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن على الإطلاق ببراءة الأدب الروائي، حيث تصاعدت موجة الكتابات العلمية الداعمة للصورة النمطية السيئة عن الإسلام والمسلمين، والمغذّية لما يعرف بالإسلاموفوبيا، خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر الشهيرة.

ويعتبر الكاتب الأمريكي المتخصص في الدراسات الإسلامية روبرت سبنسر (R. Spencer)، رائدا من رواد صناعة الخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما. ففي إحدى كتاباته المعنونة «حقيقة الإسلام...أسئلة مقلقة حول الديانة الأسرع انتشارا في العالم»، تطرّق إلى الإسلام بصفته دينا متهما بنشر العنف والإرهاب في العالم، وأنه دين تخلف مقارنة بالديانات السماوية الأخرى، حيث يقول: «الإسلام لم يعرف إطلاقا سياسة فصل الدين عن الدولة، التي كانت سبب التطور السياسي والاجتماعي لدى الغرب، والتي أدت حتما إلى انتشار الديمقراطية في العالم»[4].

---

(1) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص 53.

(2) رجب البنا، تشويه الإسلام صناعة قديمة، مرجع سابق، ص 09.

(3) المرجع نفسه، ص 09.

(4) Robert Spencer, Islam Unveiled: Disturbing Questions about the World's Fastest- Growing Faith, Encounter Books, San Francisco: 2003, px.

وفي سياق آخر يقول سبنسر متهما الإسلام بأنه مصدر العنف والإرهاب في العالم: «البعض يروج أن كلمة إسلام تعني السلام، في حين أن من يفتح صفحات القرآن سيجد آيات مثل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)» [1].

ويرى ذات الكاتب، أنّ المفكرين وصناع القرار في الغرب يجب أن يتحلوا بشيء من الجرأة لكشف الحقيقة السيئة للإسلام، مستنكرا في نفس الوقت تحفّظ هؤلاء، وفي هذا الإطار يقتبس سبنسر من كتابات أحد المسيئين للإسلام والمسلمين، وهو الكاتب الألماني كريستوف لوكسنبرغ (C. Luxenberg)، حين قال: «بين الخوف والتحفظ السياسي، إنه من غير الممكن قول شيء باستثناء كلام مُحلَّى دون معنى حول الإسلام»[2].

وعلى غرار سبنسر، فقد انتهج مواطنه ساتوشي كانازاوا (S. Kanazawa)، الباحث المختص في علم النفس، نفس النهج المسيء للإسلام والمسلمين، حين اعتبر في مقال له بعنوان: «الخيال النفسي التطوّري: لماذا لا يمكنك أن تخرج في موعد غرامي يوم السبت ليلا ؟، ولماذا أغلب المفجّرين الانتحاريين مسلمون؟»، أنّ حرب الغرب على الإرهاب هي بمثابة حرب عالمية ثالثة مختلفة عن سابقاتها، تغذيها خلفيات دينية إسلامية، وتَحجّج الكاتب قائلا: «إن الجماعات الإرهابية منتشرة في مناطق مختلفة حول العالم، تباينت أعراقها ولغاتها؛ تنظيم القاعدة في الشرق الأوسط، الجماعة الإسلامية في جنوب شرق آسيا، المتمردون الشيشان في روسيا، الانتحاريون الفلسطينيون، الجماعات المسلحة السنية في العراق، وإن ما يجمع هؤلاء هو الإسلام». ويضيف ذات الكاتب متسائلا: «لماذا يعتبر الإسلام الديانة الوحيدة التي تحفّز متتبعيها على القيام بعمليات انتحارية؟»[3]، ليُعقّب على نفسه مُجيبا: «إنّ مفتاح الإجابة يكمن في القرآن، الذي وعد الشهيد باثنتين وسبعين عذراءً في الجنة، وهو ما يشكل دافعا قويا بالنسبة لأي شاب مسلم يافع يعاني من كبت عاطفي وجنسي داخل مجتمعه»[4].

5. الصحافة المكتوبة:

يرى بعض الباحثين أن عملية تشكيل الصورة النمطية السلبية قد ظهرت بوضوح منذ بداية الموجة الاستعمارية الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر، حيث قامت الصحافة الأوروبية حينها بتشكيل صور سلبية عن شعوب آسيا وإفريقيا، تشكل مبررا لاستعمار هذه الشعوب وذريعة لارتكاب مجازر ضدها. وحاولت تلك الصحف حينها، تصوير هذه الشعوب على أنها متخلفة وغير متحضرة، وأقل مرتبة، وتحكمها نظم قمعية، لذلك فإن ارتكاب المذابح ضدها لا يجب أن يشكل تأنيبا للضمير بالنسبة للشعوب الأوروبية المستعمِرة بما أن غايتهم «نبيلة»، وهي تطوير تلك الدول المستعمَرة[5].

---

(1) Ibid. p1.
(2) Ibid. p4.
(3) Satoshi Kanazawa, The Evolutionary Psychological Imagination, Why You Can't Get a Date On a Saturday Night and Why Most Suicide Bombers Are Muslim. In: Journal of Social, Evolutionary, and Cultural Psychology, Vol 1, Issue 2, North Eastern Evolutionary Psychology Society, United States: 2007, p11.
(4) Ibid. p12.
(5) سليمان صالح، وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي، مكتبة الفلاح، عمان: 2011، ص 24.

أمّا بالنسبة للعرب والمسلمين تحديدا، فقد أكّد باحثون أن الصحف الغربية عموما سارعت إلى إلصاق صورة الشخص الشرير (The Bad Guy) بالمواطن العربي المسلم بداية التسعينيات بعد سقوط الشيوعية، محاولة إقناع الرأي العام العالمي أن الإسلام هو الخطر الجديد القادم من الشرق. فعلى سبيل المثال: فقد نشرت صحيفة «صنداي تلغراف» (*Sunday Telegraph*) البريطانية في 12 جانفي 1991، مقالا بعنوان «الوجه القبيح للإسلام»، جاء فيه: «إنّ الإسلام الذي شكل في الماضي حضارة عظيمة تستحق الحوار معها، قد أصبح اليوم عدوا بدائيا لا يستحق إلا الإخضاع»[1].

وقد استعانت الصحف الغربية في حملاتها التشويهية للإسلام، بكافة الأساليب والوسائل الفنية والحجج المنطقية المساعدة على ترسيخ المعالجة الإعلامية التضليلية للواقع الإسلامي في ذهن المتلقي الغربي. ومن أمثلة تلك المعالجات تحليل مجلة «لوموند ديبلوماتيك» (*Le Monde Diplomatique*) الفرنسية في عددها الصادر شهر ديسمبر 1994، حيث عدّدت لقرائها عوامل وأسباب تحول الإسلام إلى خطر كبير في القرن العشرين، خاصة في حال امتلاك العالم الإسلامي لأسلحة الدمار الشامل[2].

وعلى خطى قريناتها الأوروبية، فالمعالجات الصحفية الأمريكية لم تخلُ من إساءات للإسلام والمسلمين على مستويات متعددة، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر الذي يعتبرها الكثيرون تاريخ انطلاق الحملة الأمريكية على الإرهاب، التي حملت معها عشرات الأمثلة عن مظاهر الإساءة والتشويه لثلاثية «الإسلام، المسلمون، العرب».

ففي مقال للصحفي ستيفن بروثيرو (S.Prothero) نُشر على صفحات جريدة «وول ستريت جورنال» (Wall Street Journal) تحت عنوان «محمد فوق البحار العاتية»، تم تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم «بالقرصان»، وتم الربط النمطي بين حملات القرصنة الصومالية على السفن الغربية المارة بقرب مضيق باب المندب، وبين حملات الفتح الإسلامي. بل أنّ الصحيفة اعتبرت أن حملات الفتح الإسلامي كانت عبارة عن قرصنة مُدِرّة للأرباح كمصدر أساسي للدخل الاقتصادي، على اعتبار أن المسلمين آنذاك كانوا عاجزين عن إقامة اقتصاد بأنفسهم ما دفعهم للجوء إلى السطو على اقتصاد الآخرين[3].

أمّا صحيفة «نيويورك صن» (New York Sun) فقد نشرت مقالا بعنوان «حصان طروادة الإسلامي»، ورغم أن صاحب المقال ابراهيم يوسف من أصول عربية مسلمة، إلا أنه اتهم عبر مقاله، المؤسسات العربية الإسلامية المتواجدة في الولايات المتحدة الأمريكية بدعم الإرهاب بصفة مباشرة أو غير مباشرة، كما اعتبر أن المقاومة الفلسطينية إرهاب ضد إسرائيل[4].

وفي مقال آخر نشر على صحيفة «واشنطن بوست» (Washington Post) بعنوان: «لماذا الإرهاب إسلامي؟»، ورغم أن المقال –وللأمانة– قد دافع عن الإسلام والمسلمين من تهمة الإرهاب إلى حد ما، إلا أنّ المقال تخللته إساءة ضمنية، حين اعتبر أنّ من بين أسباب الإرهاب في الوقت الحالي إحساس المسلمين بضعفهم اتجاه الغرب بعدما كانوا متفوّقين حضاريا في السابق، في

---

[1] أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص18.

[2] محمد أحمد محمدين، صراع الحضارات هل يتحول إلى مواجهة بين الأديان؟، جريدة العالم الإسلامي، مكة: 6 نوفمبر 1995، ص 10.

[3] Stephen Prothero, Muhammad on The High Seas. Available Online at: http://www.wsj.com/articles/SB124054446854951883

[4] Ibrahim Youssef, the Islamist Trojan Horse. Available Online at: http://www.nysun.com/foreign/islamist-trojan-horse/63064/

إشارة إلى منطق صراع الحضارات لصامويل هانتغتون، بالإضافة إلى إشارة المقال إلى وجود خلفية دينية صغيرة للإرهاب في القرآن الكريم[1].

وفي صحيفة «ناشيونال ريفيو» (National Review)، كتبت آن كولتر (A.Coulter) متهجّمة على العرب والمسلمين ومتهمة لهم بالإرهاب: «ينبغي علينا أن نغزو بلدانهم، ونقتل قادتهم، ونرغمهم على اعتناق المسيحية...لقد فرّشنا المدن الألمانية بسجادات من القنابل وقتلنا مدنيين هناك، كانت تلك حربا، وهذه أيضا حرب»[2].

وفي اليوم الموالي للتفجيرات أي بتاريخ 12 سبتمبر 2001 نشرت «نيويورك بوست» (New York Post) عمودا للصحفي ستيف دنليفي (Steve Dunleavy) بعنوان: «اقتلوا أبناء الزنا ببساطة»، قال فيه دنليفي: « أمّا المدن والبلدان التي تأوي هذه الديدان، فاضربوها بالقنابل حتى تتحول إلى ملاعب كرة سلة»[3].

وقد اهتمت الصحف الأمريكية منذ منتصف التسعينيات بنشر ملخصات للكتب التي تناولت القضايا الإسلامية، فعلى غرار كتاب «صراع الحضارات» لصامويل هانتغتون الذي حظي بتغطية إعلامية واسعة، فإن كتاب «حروب بلا نصر» للرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون (R.Nixon)، استقطب هو الآخر الصحف الأمريكية خاصة في جزئه الذي أشار فيه إلى «الفكرة السيئة» أو (The Bad Idea)، والتي حذّر فيه نيكسون من صحوة الشعوب الإسلامية وانتقامها من الغرب[4].

وقد أكّد الباحث محبوب هاشم في إحدى دراساته، أن التغطية الإخبارية الأمريكية للشؤون العربية تقدم العرب في قوالب تعكس التخلف والإرهاب والإقامة في الصحراء وركوب الجمال، وكل ما من شأنه تثبيت الصورة النمطية الموجودة أصلا عن العرب في أذهان الأمريكيين[5].

وفي ذات السياق، أوضح الباحث ميخائيل سليمان في دراسته حول التغطية الإخبارية للشرق الأوسط في المجلات الإخبارية الأمريكية، أن تلك المجلات تُصوّر العرب على أنهم شعوب عدوانية، ذات أنظمة دكتاتورية، لا يمكن الوثوق بها، ومتخلفة، وميالة للعنف والحرب، في حين أنها تصور إسرائيل على أنها أرض تطور وديمقراطية ووفاء[6].

ويرى نفس الباحث، أن الجمهور العام الأمريكي يتلقى استنادا إلى ما تنشره الصحافة الأمريكية عن العرب، انطباعا بأن العرب هم إما أغنياء بإفراط أو في فقر مدقع. أما الأغنياء بإفراط فيبذرون ثرواتهم في جلسات المقامرة والليالي الحمراء، أما باقي العرب وهم الأغلبية، فقد حرموا من الثروة الباذخة في بلدانهم لصالح الحكام الفاسدين والمستبدين، واستثني من هذه الصورة السوداء، الحكام الذين اعتبروا الموالين للولايات المتحدة الأمريكية والمتفقين معها حول القضايا الاستراتيجية[7].

---

(1) Steven Fish, Why Is Terror Islamist ?, Available Online at : https://www.washingtonpost.com/blogs/monkey-cage/wp/2015/01/27/why-is-terror-islamist/

(2) إيلين هاغوبيان، استهداف العرب والمسلمين، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، العبيكان، الرياض: 2006، ص 110.

(3) المرجع نفسه، ص 109-110.

(4) معالي عبد الحميد جودة، الخطر الإسلامي ولائحة الألوان، جريدة العالم الإسلامي، مكة: 31 جويلية 1995، ص 03.

(5) أديب خضور، مرجع سابق، ص62.

(6) المرجع نفسه، ص61.

(7) ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 2000، ص199.

وكثيرا ما تواجدت قضايا النفط العربي في أقلام الصحافة الأمريكية، واقترنت بصورة العربي الثري، المتحكم في السعر وفي كارتل النفط، حتى أن رسوم الكاريكاتور لم تخلُ من صورة الشيخ العربي الذي يحمل بنزين نفط في شكل بندقية موّجهة إلى المستهلك الأمريكي[1].

6. التلفزيون:

يؤكد غربنر(G.Gerbner) أن للتلفزيون قدرة هائلة للتأثير في معرفة الجمهور وإدراكه لمحيطه، خصوصا بالنسبة للأفراد الذين يتعرضون إليه بكثافة كبيرة[2]،حيث يتلقى المشاهد دون وعي حقائق بديلة عن الواقع الاجتماعي تصبح بصفة تدريجية أساسا لبناء القيم والصور النمطية التي يكتسبها عن العالم الحقيقي.

وعلى اعتبار أن أغلب سكان العالم يتعرضون للبرامج التلفزيونية الأمريكية بدرجات متفاوتة، فإنهم عرضة لتبنّي الصور النمطية التي تجسدها تلك البرامج.

ولا يمكن الحديث عن تأثير التلفزيون على الجمهور دون استحضار التجربة الأمريكية ذائعة الصيت، وإنّ قوة تأثير البرامج التلفزيونية الأمريكية، اعترف بها الأمريكيون أنفسهم قبل الجمهور الخارجي. وفي هذا الإطار وصف الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما (B.Obama) قوة تأثير الإعلام التلفزيوني الأمريكي على السلوك الانتخابي للجمهور الأمريكي قائلا: «لو شاهدت قناة فوكس نيوز لما صوّت لنفسي»[3].

ويَعتبر الباحث الأمريكي باد كليف (B. Khleif)، أنّ عملية بناء الصور النمطية في الولايات المتحدة الأمريكية وليدة إرث ثقافي تشكَّل عقب اكتشاف العالم الجديد، يقوم على أهمية العنف في الحياة الإنسانية، إذ أن تجربة البيض في مواجهة الهنود الحمر هي عملية راسخة في الثقافة الأمريكية الحالية، تسعى فيها مصادر الثقافة المختلفة، بما فيها وسائل الإعلام، إلى «تهنيد العالم» وتكريس سيطرة وتفوق البيض الأمريكيين، في مقابل عالم آخر أقل درجة أو ليس له حق في الحياة[4].

ومن أبرز مظاهر التنميط التلفزيوني الأمريكي، تلك المرتبطة بتحفيز شعور الخوف والرهبة إزاء شخصيات أو أعراق معينة، إذ ثمة اعتقاد راسخ في التقاليد التلفزيونية الأمريكية أن التلفزيون يحتاج دائما إلى «الوغد» أو «الشرير» العالمي، وعملية اختيار ذلك «الوغد» أو «الشرير» تتوقف على الأحداث البارزة التي تجذب اهتمام الجمهور، بالإضافة إلى الأيديولوجية السياسية للدولة. وعلى نقيض الوغد «Bad Guy»، فالشخص الطيب أو «Good Guy» ينتمي دائما –حسب التقاليد التلفزيونية الأمريكية– إلى جماعة البيض الأمريكان تحديدا، والذي طالما اعتبر ذلك البطل الذي يملك الحل الأنجع للقضاء على «الوغد»[5].

---

[1] ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص198.

[2] محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص262.

[3] https://grabien.com/file.php?id=126473

[4] Bud Khleif, Distortion of Islam and Muslims in American Academic Discourse. In: Cultural Diversity and U.S Media, ed. Yahia Kamalipour and Theresa Carilli, State University of New York Press, New York: 1998, p 281.

[5] سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، مرجع سابق، ص 185.

فأثناء الحرب العالمية الثانية مثلا، كانا «النازي» و«الياباني» هما رمز الشر الأول في العالم، وأُنتجت العديد من البرامج والأفلام السينمائية المجسّدة لتلك الصورة. وفي فترة لاحقة، وتحديدا إبان الحرب الباردة، اعتبر الشيوعي مصدرا للخطر، ورمزا للتخلف والفساد.

ويرى بعض الباحثين أن انهيار الاتحاد السوفياتي تحديدا، أجبر الولايات المتحدة الأمريكية للبحث عن عدو جديد، خاصة وأن صناع القرار هناك يؤمنون بضرورة وجود عدو محدد يُغرس فيه شعور الكراهية وتوجه إليه أصابع الاتهام في كل مناسبة سيئة، وبالتالي، تزداد فرص التركيز الجماهيري على العدو وتقل نحو المشاكل الداخلية الحقيقية، وتتضاعف فرص تقبل الظلم والاضطهاد محليا، وهو ما يعتبر سياسيا، ضمانا للاستقرار الداخلي[1].

وتوجّه النظم السياسية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وسائل إعلامها نحو التركيز على العدو الخارجي بحيث يصبح المحور الأساسي للمحتوى الذي تقدمه للجمهور، فيتم تشكيل الواقع على أساس وجود هذا العدو. ويصف كل من هيرمان (E.Herman) وتشومسكي (N.Chomsky) الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الأمريكية في إلهاء المجتمع بالعدو الخارجي، بأنه دور دعائي بامتياز تم على إثره كسر الحدود بين الإعلام والدعاية في تغطية الأحداث[2].

وحتى الزنوج لم يسلموا من مضامين الأعمال التلفزيونية الأمريكية، إذ لطالما جُسّدوا في شخصيات تعكس أنماط الشر والعنف والتخلف. ولحسن الحظ نجحت نضالات المجتمع المدني لتلك الفئة في تصحيح هذه الصورة، فأصبح الزنجي اليوم في صورة مغايرة تماما عما كان عليه سابقا[3] ،رغم بعض التحيز الخفي في عرض شخصياته، من مظاهره تجسيد الممثلين السود لأدوار ثانوية مساعدة للأبطال البيض، تكرس صورة الجنس الأبيض القائد وصانع القرار[4].

واليوم، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبح العربي والمسلم «الوغد» العالمي دون منازع. ويقول الصحفي الأمريكي راسل بيكر (R.Baker) في هذا الصدد: «إنّ هناك نزعة أمريكية دائمة لتحميل شخص آخر مسؤولية المشاكل التي يعاني منها الشعب الأمريكي، وإنّ العربي مؤهل اليوم ليكون الوغد الحالي، وأن تُنقل إليه جميع صفات الأوغاد السابقين»[5].

وفي هذا الإطار فقد أصبح العربي والمسلم، المتهم الأول في أي نشاط إرهابي حتى قبل اكتشاف هوية فاعله، ومن أبرز الأمثلة الحيّة عن ذلك، ما قامت به قناة «أن بي سي» الإخبارية (NBC News) عند تغطيتها لحادث إطلاق نار في مطار «فورت لودرديل» (Fort Lauderdale) بولاية فلوريدا الأمريكية، الذي راح ضحيته خمسة قتلى وعدد من الجرحى يوم 6 جانفي 2017، وفور وقوع الحادث سارعت القناة إلى عرض الخبر في شريط الأخبار العاجلة، واصفة إياه «بالعمل الإرهابي»، وبالنظر لغياب معطيات دقيقة قام الصحفيون ومحلّلو الأخبار في القناة بطرح فرضية الهجوم الإسلامي المتطرّف من طرف تنظيم «داعش»،

---

(1) المرجع نفسه، ص 72.

(2) سليمان صالح، وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي، مرجع سابق، ص 23.

(3) أديب خضور، مرجع سابق، ص40.

(4) سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، مرجع سابق، ص 185.

(5) أديب خضور، مرجع سابق، ص40.

وما إن تبيّنت حقائق الحادث واكتشاف أنّ من قام بالعملية هو جندي سابق في الجيش الأمريكي لا يمت بصلة للإسلام، تغيّر وصف «العمل الإرهابي» واستبدل بعبارة «إطلاق نار» في شريط الأخبار العاجلة.

ويضيف الباحث سليمان صالح في ذات السياق: «إنّ الخبراء الغربيون وجدوا أنه من الخطر أن يتم تقديم الإسلام بشكل مباشر كعدو، نظرا للوجود الإسلامي في أوروبا وأمريكا، ولذلك فقد أطلق على العدو الخارجي الجديد اسم الإرهاب، وتحت هذا المسمى تم تقديم أعداء جدد مثل طالبان»[1].

أمّا الصحفي الأمريكي نيكولاس فون هوفمان (N.Von Hoffman)، فلم يخرج عن هذا الإطار عندما قال: «لم تشوّه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية، ولم يُحط من قدرها بشكل مركّز ومنظم، كما حدث للعرب»[2].

ومن الصور النمطية التي تنقلها وسائل الإعلام الأمريكية والمقترنة بالعرب[3]:

-العرب أثرياء مصدر أموالهم الريع النفطي فقط، ولطالما اعتبروا بأنهم مصدر الأزمات الاقتصادية بتحكمهم في منظمة الأوبك.

-العرب برابرة غير متحضرين ومهووسون جنسيا وتجار رقيق وجهلة، فمن الصعب أن ترى طبيبا أو عالما عربيا على شاشة التلفزيون الأمريكية.

-العرب إرهابيون ومتعطشون للعنف وإثارة الحروب.

-العرب والأتراك والإيرانيون واحد، كلهم متشابهون وكلهم مسلمون.

-من أبرز المعالم البصرية للصورة العربية: رقص المرأة العربية مغطاة الرأس ومكشوفة البطن، والرجال ذوو اللحية السوداء الطويلة والنظارات السوداء والعباءة البيضاء والشماغ.

وحسب شيلي سلايد (S.Slade)، فإن وسائل الإعلام الأمريكية تنظر إلى الشعوب العربية على أنها شعوب غنية نفطيا، ومتخلفة وبدائية، ذات ملبس غريب، تسيء معاملة المرأة، مولعة بالحروب ومتعطشة للدماء، تتسم بالغدر والمكر والبربرية[4]. ومع أن تلك الآراء السلبية لا يمكن تعميمها على كل الأمريكيين، بيد أنه لا ريب من وجود فكرة ثابتة مشوهة في عقول الأمريكيين عن العرب تحاكي العنصرية في بعض الأحيان[5].

وبدوره لخّص الباحث أحمد عبد الرحمن موسى، تسع موضوعات تناولها الإعلام الغربي والتي تُجسّد الصورة النمطية للعرب والمسلمين[6]:

- **المسلمون عدوانيون**: حيث تعرض وسائل الإعلام الغربية يوميا صورا لمسلمين متعصبين عدائيين ينادون بشعارات الموت ضد أعدائهم، وينفذون عمليات إرهابية ضد أبرياء، وهو ما يوحي للمتلقي بوجود حالة ارتباط بين الإسلام والعنف.

---

(1) سليمان صالح، وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي، مرجع سابق، ص 23.

(2) أديب خضور، مرجع سابق، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص43.

(4) Shelley Slade, The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes. In: Middle East Journal, Vol 35, No.2, Middle East Institute, Washington DC: 1981, p147.

(5) ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص 16.

(6) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص 13-17.

▪ **المسلمون يحتلون أوروبا**: وهو الشعار الذي تروج له بعض وسائل الإعلام الغربية، خاصة بعد حملات الهجرة الجماعية الحالية للسوريين الفارين من الحرب. ورغم أن القضية إنسانية محضة، إلا أن بعض وسائل الإعلام الغربية تصر على ربطها بقضايا أيديولوجية.

▪ **اضطهاد المرأة**: يتخذ الإعلام الغربي موضوع المرأة مناسبة للطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها، مستغلا الخلط العام بين تعاليم الإسلام وبين الأنماط والعادات المجتمعية لبعض الشعوب الإسلامية، فلا يمر أسبوع تقريبا دون أن يتطرق الإعلام الغربي في مقال صحفي أو برنامج تلفزيوني أو فيلم سينمائي إلى اضطهاد المرأة المسلمة داخل مجتمعها.

▪ **العنف اتجاه الأطفال**: عمل الإعلام الغربي على تسويق فكرة أن المسلمين ذوو سلوك عنيف اتجاه أطفالهم، من خلال التركيز الإعلامي على بعض القضايا المرتبطة بمشاكل الأطفال في بعض المجتمعات الإسلامية كعمالة الأطفال، والزواج المبكر، والاغتصاب. ورغم أن تلك القضايا منتشرة حتى في الدول غير الإسلامية، إلا أن وسائل الإعلام الغربية تفضل حصر نطاقها الجغرافي في الدول الإسلامية فقط.

▪ **تشويه صورة المهاجرين المسلمين في أوروبا**: تطرق الإعلام الغربي لقضايا المهاجرين المسلمين بشيء من التنميط، فيشار إليهم عادة كمصدر للتخلف الحضاري، وتلصق بهم تهم الاغتصاب والسرقة وتجارة المخدرات والاعتداء المسلح، وحتى إن ثبتت فعلا فإن الإعلام يركز على أصولهم وديانتهم رغم أن أكثرهم مجنسون بجنسيات تلك الدول. بل أن الكثير من قضايا الإجرام قيد التحقيق في الدول الغربية يتم ربط أولى افتراضاتها بالجاليات المسلمة هناك وتثار ضجة إعلامية حولها، ليتضح فيما بعد أن الجاني من عرق آخر فتنخفض حدة الضجة لتصبح وفق عرف الإعلام الغربي قضية غير مهمة.

▪ **إساءة معاملة الحيوانات**: حيث ينظر الإعلام الغربي على أن عملية ذبح الأضاحي في العيد مثلا بمثابة المجزرة في حق الحيوانات، وتنتشر خلال أيام العيد صور المسلم الحامل للسكين الذي يباشر بذبح أضحيته، لا لتوضيح العبادات والعقائد الإسلامية، وإنما لتُتخذ ذريعة لإثبات عدوانية الإسلام والمسلمين.

▪ **تصوير الإسلام بوصفه «دينا عربيا»**: ينظر المواطن الغربي إلى الإسلام بوصفه دينا عربيا على الرغم من أن العرب يُعدّون أقلية مقارنة بالعدد الكلي لمسلمي العالم، ويعود ذلك بالأساس إلى جهل المواطن الغربي بالآخر، ليمتد ذلك الجهل إلى وسائل الإعلام الغربية.

▪ **نمط 5B**: والمقصود بها أن الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الإعلام الغربي تحمل خمس صفات أساسية يبدأ كل منها بالحرف B:

(Bedouin) أي بدوي، للدلالة على تخلف وهمجية العربي المسلم. (Belly Dancer) للإشارة إلى الراقصة الشرقية، وهي من بين أعرق الصور النمطية عن العرب والمسلمين، والتي تعكس شهوانية الرجل العربي من جهة وصورة «الجارية» بالنسبة للمرأة العربية المسلمة من جهة أخرى. بالإضافة إلى (Bazar Man) أي رجل البازار، وهي تشير إلى جشع البائع العربي واحتياله على زبائنه. إلى جانب صورة العربي (Billionaire) أي الثري، الذي يبذر أموال النفط في الخمور والقمار وحفلات الترف. وكذا (Bomber) التي تشير إلى صورة المسلم الإرهابي قاذف القنابل، والانتحاري بالأحزمة الناسفة.

▪ **التحيز في تغطية الصراع العربي الإسرائيلي**: تعتبر القضية الفلسطينية من أكثر القضايا التي تُبرز تحيز الإعلام الغربي ضد العرب والمسلمين، فأي مجزرة صهيونية في حق الفلسطينيين تُصوَّر على أنها حرب متكافئة رغم أن الفلسطينيين عُزّل، أو تصوّر على أنها دفاع عن النفس بعد أي تهديد من طرف المقاومة الفلسطينية، في حين تصوّر العمليات الفدائية للمقاومة الفلسطينية على أنها أعمال إرهابية ضد يهود أبرياء، وهو ما يُكسب الصهاينة مزيدا من الشرعية في نظر الإعلام العالمي.

وتعد برامج الأطفال التلفزيونية من أكثر مصادر تكوين الصور النمطية، خاصة أن العديد من الدراسات تؤكد أن الأطفال أكثر عرضة لتأثير التلفزيون مقارنة بالفئات العمرية الأخرى نظرا لضعف الدور الانتقائي لديهم.

وحسب بعض الدراسات الأمريكية، فإن طفل ما قبل المرحلة الابتدائية يتعرض لبرامج التلفزيون لمدة 30 ساعة أسبوعيا[1]، وإن التلميذ الأمريكي ينهي المرحلة الثانوية وقد قضى 15000 ساعة أمام التلفزيون، بمقابل 11000 ساعة قضاها على مقاعد الدراسة[2].

والعرب والمسلمون طبعا، ليسوا بمنأى عن التنميط في برامج الأطفال التلفزيونية. ففي مسلسل «طرزان» (Tarzan) مثلا، صُوِّر العربي كعدواني، وفي الموسم الخامس والعشرين من مسلسل «سيمبسونز» (The Simpsons) الشهير تم الاستهزاء بالعقيدة الاسلامية عندما تم بث حلقة تحاكي قصة المسلسل الأمريكي الآخر «أرض الوطن» (Homeland)، وجسّد شخصية المسلم بطل المسلسل «هومر»، ومن خلاله، تم تصوير المسلم على أنه إرهابي ومعقد وغريب الأطوار. أما مسلسل «ساوث بارك» (South Park) ذائع الصيت، فقد ذهب إلى أبعد الحدود، عندما استهزأ أكثر من مرة بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ففي إحدى الحلقات، تم تصوير الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة البطل الخارق الذي يجيد اللعب بالنار، وفي حلقة أخرى تم تصويره متنكرا في زي «دب»، ناهيك عن الصور النمطية العديدة التي نقلها المسلسل عن العرب والمسلمين عموما، كإحدى المشاهد التي أظهرت أستاذا يقدّم لتلاميذه درسا عن المسلمين، يخبرهم فيه بأن هؤلاء يقطنون «الرمال» كتجسيد للصورة النمطية الكلاسيكية عن العربي المسلم قاطن الخيام والصحاري. وعرض مشهد آخر انضمام طالب مسلم جديد للقسم، فدَبّ الفزع في التلميذ الجالس بجانبه، واتجه نحو أستاذه واصفا زميله المسلم الجديد «بالإرهابي».

أما مسلسل «أربع وعشرون ساعة» (24)، فقد أكّد بشكل واضح أن سمات الإجرام والإرهاب شديدة الصلة بالعرب والمسلمين[3]. وفي ذات السياق، كرّس مسلسل «أرض الوطن» (Homeland)، المشار إليه سابقا، الصورة النمطية للمسلم الإرهابي، حيث يتناول المسلسل قصة عودة أحد جنود البحرية الأمريكية إلى أرض الوطن بعد ثماني سنوات من الاختفاء في العراق، ليتبين لاحقا أن ذلك الجندي قد تعرّض إلى نوع من «غسيل المخ» من طرف تنظيم القاعدة الذي اختطفه هناك، حيث استطاع إقناعه بدخول الإسلام والانضمام إليه، بل وإعداده لتنفيذ عمليات إرهابية ضد بلده الأم الولايات المتحدة الأمريكية باسم الإسلام.

---

(1) أديب خضور، مرجع سابق، ص45.

(2) سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، مرجع سابق، ص 184.

(3) عامر وهاب خلف العاني، الإعلام ودوره في معالجة ظاهرة الإرهاب والموقف من المقاومة، دار الحامد، عمان: 2013، ص 175.

وفي إحدى حلقات مسلسل التحقيقات البوليسية (NCIS)، يقوم عون فيديرالي باتهام إمام بالضلوع في نشاط إرهابي، لمجرّد كونه إماما. وفي واحدة من حلقات مسلسل «الوسيط الروحي» (The Mentalist)، يتم اتهام أحد العراقيين بالانتماء لجماعات إرهابية قبل كشف ملابسات حادثٍ تورّط فيه، ليتبيّن لاحقا أن كل ما قام به كان مجرّد انتقام لمقتل والده.

وفي مسلسل «ترابر دجون» (Trapper John) الكوميدي، تم تصوير العربي – في احدى الحلقات– بشخصية الثري المترف، عندما قام أحد الشيوخ العرب بتقديم نصف مليون دولار وسيارة «ليموزين» كهدية إلى صاحب المشفى الذي يعالج فيه. بل أنّ ذات الشخصية عكست صورة العربي المتحكم في نسائه باعتبارهم ملكية خاصة به، عندما عرض أحد المشاهد إرسال ذاك الشيخ ابنته إلى صاحب المشفى لكي تسلّمه نفسها كنوع من رد الجميل قائلة: «اعتبرني زوجتك، عبدتك، أي شيء تريد، والدي قدمني هدية لك»[1].

أمّا الموسم الخامس من مسلسل «الهروب من السجن» (Prison Break) والذي انطلق بثّه في السنة الحالية 2017، فقد نقل منذ حلقته الأولى العديد من الصور النمطية عن المسلم الهمجي والإرهابي والحاقد على الغرب، رافقت قصة سَجن بطل الفيلم في أحد سجون اليمن.

وفي إحدى حلقات الجزء الثاني من مسلسل «السهم» (Arrow) الذي انطلق بثه سنة 2013، ذكرت «سارة» بطلة الجزء (أدت الدور الممثلة كايتي لوتز) في إحدى حواراتها، أنها قد زارت الجزائر وتعرضت لحادث انفجار قنبلة هناك، كإشارة نمطية بأن الجزائر لم تخرج بعد من «العشرية السوداء» حسب منتجي المسلسل.

وفي إطار المسلسلات الأمريكية التي تناولت الجزائر في محتواها، فقد أسال مسلسل «الناجي المختار» (Designated Survivor) الذي انطلق بثه سنة 2016، الكثير من الحبر في وسائل الإعلام الجزائرية، بعدما تناولت الحلقة الرابعة من الموسم الأول للمسلسل بعنوان «العدو»، قصة خيالية عن إعلان الرئيس الأمريكي الحرب على الجزائر، بعد تلقي معلومات عن تورّط تنظيم إرهابي هناك يدعى «الصقر» في نشاطات تهدد أمن الولايات المتحدة الأمريكية، وهي دلالة واضحة تضاف إلى قرينتها من مسلسل «السهم»، والتي تؤكد ارتباط صورة الجزائر بالإرهاب في ذهن صانعي الدراما الأمريكان.

ولم تكتفي المسلسلات الدرامية الأمريكية بربط صورة الجزائريين بمواضيع الإرهاب، وإنّما أضافت لهم صورة الشعب المغفّل، حين تناولت الحلقة الخامسة عشر من الجزء الرابع لمسلسل «كيف قابلت أمكما» (How I Met Your Mother)، قصة على لسان بطل المسلسل «تيد موزبي» يروي فيها تجربته مع مجموعة من الجزائريين التقى بهم في رحلة قطار متوجه إلى «مونتي كارلو»، حيث حاول الاحتيال عليهم –بنوع من الثقة– لسرقة أموالهم المقدرة ببضعة آلاف دينار، مع إضفاء ملامح السخرية من العملة الجزائرية عند نطق كلمة «الدينار».

[1] أديب خضور، مرجع سابق، ص49.

7. السينما:

ارتبطت صناعة الصور النمطية بصناعة التسلية في الولايات المتحدة الأمريكية على اختلاف شعبها وأصنافها (كوميديا، دراما تلفزيونية، رسوم متحركة، سينما...الخ)، والتي تقوم على التبسيط والتسطيح والتقليل من قدرة البشر على التفكير، وأدّى ذلك إلى جعل جمهور التسلية الأمريكية – على حد وصف الباحث نيل بوستمان (N.Postman)– جمهورا ساذجا يصدّق كل ما يتلقاه دون تفكير[1]،وبالتالي سيكون هدفا سهلا للتصوير النمطي.

ويقول الصحفي إيلمر دايفيس (E.Davis) في ذات السياق: «إن الطريقة الأسهل لحقن الدعاية في أذهان غالبية الناس، هي عن طريق جعلها تمر من خلال وسيلة للترفيه، عندما لا يكون هؤلاء مدركين أنهم يتعرضون للدعاية»[2].

شكّل القالب النمطي جزءا من الثقافة السينمائية الأمريكية منذ بداياتها الأولى، والكثير منها ربط الشخصية العربية بسلوكيات سلبية كالغدر، والخيانة، والفسق، والعنف والإرهاب، والسادية، وتجارة الرق. ناهيك عن تصوير البلاد العربية كأرض صحراوية حيث الخيام والجمال، وقصور الشيوخ الممتلئة بالجواري[3].

وحسب المفكر الألماني مراد هوفمان (M.Hofmann)، فإن هوليوود قد قدّمت الإسلام بوصفه: «دينا للسذج لا روحانية فيه، وتقام الصلاة كتمارين رياضية، ورمضان شهر للحفلات الليلية، والحج عادة وثنية لا يقبلها العقل. أمّا المسلمون فيظهرون في أفلامها بوصفهم كسالى وجبناء، متعصّبون ومهووسون بالجنس والمتعة، لذلك نرى كثيرا من المشاهد السينمائية لشيوخ العرب وهم متكئون قرب آبار البترول، محاطون بنساء نصف عاريات»[4].

وفي دراسة أجرتها الباحثة ساري ناصر من جامعة «إلينوي» الأمريكية، أكّدت أن العرب يظهرون في الكثير من الأفلام الأمريكية المنتجة بين عامي 1894 و1960، وأنّ تلك الأفلام تركّز على العرب الذكور فقط، وتعرّفهم إمّا بسلطتهم أو عملهم، المرتبط غالبا بالجريمة. أمّا المرأة العربية، فهي مجرد «جارية» أو عضو في «الحريم»، وهما مفهومان يعكسان الخضوع لرغبة الرجل[5].

ويرى الباحث ميخائيل سليمان، أنّ هوليوود قد غيّرت الصورة الرومانسية عن العرب البدو والصحراء زمن الحرب العالمية الأولى، فجعلتها صورة أفراد بملامح خبيثة، مدججين بالخناجر وهم يترصّدون أحدهم خارج الخيمة استعدادا لطعنه من الخلف عند أول فرصة، كانعكاس لصورة العربي المخادع غير الموثوق به، وهو فضلا عن ذلك شخص قذر لا أخلاقي، أما النساء العربيات فينظر إليهن على العموم إما على أنهن مكبوتات كليا أو على أنهن رقيق أو حريم للرجال[6].

---

(1) Neil Postman, Amusing Ourselves to Death: Public Discourse in the Age of Show Business, Penguin, New York: 1993, pp 110-111.

(2) موسى الفهد وسؤدد الألوسي، وسائل الإعلام والحرب، دار أسامة، عمان: 2012، ص 134.

(3) إدوارد سعيد، الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت: 1981، ص 287.

(4) مراد هوفمان، وضع الإسلام في ألمانيا، جريدة الأهرام المصرية، القاهرة: 25 مارس 1995، ص 03.

(5) Nasser Sarre, The Image of the Arabs in American Popular Culture, PHD, University of Illinois, Illinois: 1962.

(6) ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص199.

ويقدم الباحث جاك شاهين في استعراضه للأفلام الأمريكية، أدلة مقنعة على تشويه الصناعة السنيمائية الأمريكية لصورة العرب والمسلمين، فقد أدرج في دراسته – التي نشرت ككتاب بعنوان «العرب السيئون...كيف تشوّه هوليوود شعبا»– تصنيفا لأكثر من 900 فيلم سينمائي يمتد عبر تاريخ السينما الأمريكية، صَوَّر العرب بصور سلبية، لم يجد منها الباحث إلا اثنتي عشرة فيلما تقدم صورة إيجابية عن العربي والمسلم، فهم حسب تلك الأفلام إرهابيون، متوحشون غير إنسانيون، غزاة عدائيون أو شيوخ فاحشو الثراء، داعرون، ومصممون على استخدام أسلحة نووية[1].

وتُظهر تلك الأفلام الغربيين وهم يَرشُقون العرب بنعوت نابية مثل: «ثقوب الأدبار»، و«أبناء الزنا»، و«الخنازير»، و«عبدة الشيطان»، و«ذوي الرؤوس المغطاة بالمناشف»، و«أبناء الكلاب»، و«أعضاء الإبل». أما المرأة العربية، فلم تسلم – حسب شاهين– من التنميط السينمائي الأمريكي السيء في أكثر من 50 إنتاجا سينمائيا[2]، «فهي لا تزال عندهم راقصة تكشف جسدها، وهي الصورة نفسها منذ الأفلام الأولى للسينما الأمريكية، لكن في السنوات الأخيرة، حدث تغيّر درامي، فبدلا من أن تظهر راقصة، ظهرت إرهابية تزرع المتفجرات...والحقيقة أنه كلما تقدّمت المرأة العربية في الواقع، تخلّفت صورتها في هوليوود»[3].

ويقول جاك شاهين في حوار له على قناة الجزيرة: «إنّ المواطن الأمريكي العادي لم يحتجّ كثيرا ضد الحرب على العراق، ذلك لأن صورة العرب لديهم هي صورة الإرهابيين وشيوخ النفط، فهم لم يعرفوا العرب كشعب عادي، بشر كباقي البشر، فيهم الممرضة والطبيب». ويضيف ذات الباحث، في حديثه عن تطور صورة العربي في سينما هوليوود: «أنا هنا أتحدث عن أكثر من ثلاثمئة فيلم يحتوي على مشاهد مشابهة في إساءتها للعرب، رغم أن موضوع تلك الأفلام ليس عن العرب»[4].

وحسب شاهين أيضا، فإن الحملة السينمائية الأمريكية على العرب والمسلمين تعتبر متميزة مقارنة بالحملات السينمائية السابقة على أعراق أخرى، تعكس حقدا فريدا من نوعه في تاريخ هوليوود، ويقول في هذا الإطار: «حسب معلوماتي فإنه لم يحدث قط في أفلام هوليوود عن الحربين العالميتين الأولى والثانية، أو الحرب الكورية، أن تم تصوير القوات الأمريكية وهي تذبح أطفالا، ومع ذلك فعند نهاية فيلم «قواعد الاشتباك» (Rules Of Engagement)، يفتح جنود البحرية الأمريكية النار على اليمنيين فيقتلون 83 شخصا بينهم أطفال ونساء، وعند عرض ذلك المشهد أول مرة في قاعة السينما، وقف المتفرّجون على أقدامهم مصفّقين وهاتفين»[5].

ومن بين الأفلام الأمريكية المسيئة للإسلام والمسلمين، فيلم «المومياء» (The Mummy) الذي صوّر الشخصيات العربية على أنها غارقة في الجهل والتطرّف، وكذا فيلم «أكاذيب حقيقية» (True Lies) سنة 1994، الذي يحمل إساءة واضحة للعرب[6].

---

(1) Jack Shaheen, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People. In: The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, APSS 588, Sage, California :July 2003, p172.

(2) Jack Shaheen, Op.cit, p183.

(3) http://www.democracynow.org/2007/10/19/reel_bad_arabs_how_hollywood_vilifies

(4) عبد الجبار ناصر، ثقافة الصورة في وسائل الإعلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 2011، ص 241.

(5) Jack Shaheen, Op.cit, p177.

(6) عامر وهاب خلف العاني، مرجع سابق، ص 176.

وفي فيلم «الشيخ يَخرج» (The *Sheik* Steps Out) الذي عرض سنة 1937، تقول بطلة الفيلم: «إنّ العرب جميعهم متشابهون في نظري»، كانعكاس لميزة الحشد في الصورة النمطية للعرب لدى جمهور الأمريكيين، ولم تتغير هذه النظرة في الأفلام الأمريكية اللاحقة، ففي فيلم «الرهينة» (Hostage) الذي عرض سنة 1986، يقول ممثل في الفيلم: «أنا لا أستطيع أن أميز عربيا عن عربي آخر، فهم سواء بالنسبة إلي»[1].

أمّا فيلم «أعظم عرض في العالم» (The Greatest Show on Earth) سنة 1952، فقد صوّر الفلسطينيين كمتجبّرين وأهل غدر ومذمّة، وهم فاسقون ومتعطّشون إلى الرزق الحرام[2].

أما فيلم «ظل الكبير» (Cast a Giant *Shadow*) الشهير الصادر سنة 1966، والذي شارك في بطولته أسماء هوليوودية كبيرة مثل : «كيرك دوغلاس»، و«جون واين»، و«فرانك سيناترا». فرغم أن الفيلم في ظاهره يحاول تخليد ذكرى أحد الضباط الأمريكيين يدعى «ماركوس دوغلاس»، الذي توفي في مهمة تطوعية لمساعدة الجيش الإسرائيلي بين عامي 1947 و1948، ولكن الحقيقة الكامنة في ثنايا الفيلم تحاول أن تظهر بأن حق اليهود في فلسطين هو حق أصيل، بل الأخطر من ذلك، أن الفيلم يصوّر بأن العرب أنفسهم يدركون ذلك، وحاول بعضهم مساعدة اليهود لكي ينتزعوا من العرب هذا الحق[3].

وفي سياق متصل بالصراع العربي الإسرائيلي، فإن هوليوود نجحت – من خلال بعض الأفلام التي تناولت ذلك الصراع– في إظهار العرب بصورة المتوحشين المعتدين، في مقابل تلميع صورة الصهاينة وإظهارهم في صورة القوم المسالم والضحية، ولعل أفلام: «النزوح» (Exodus) سنة 1960، و«جوديث» (Judith) سنة 1966، لأبرز دليل على ذلك[4].

وفي سنة 1985، صدر الجزء الأول من فيلم «النسر الحديدي» (Iron Eagle)، الذي يرسّخ صورة العربي العدو من خلال معالجته لقصة اختطاف أحد الجنود السابقين للجيش الأمريكي في إحدى البلدان العربية، ليتبع بجزئه الثاني سنة 1988 (وهو الجزء الذي حظي بدعم مباشر من الحكومة الإسرائيلية، سواء من خلال الدعم المالي أو من خلال تزويد منتجي الفيلم بطائرات حربية)، ويؤكد ذات الصورة لقرينه الأول عند معالجته لقصة مقتبسة عن «عملية بابل» العسكرية التي قام فيها الجيش الإسرائيلي سنة 1981 بتفجير قاعدة نووية مزعومة في العراق، وهو الفيلم الذي يعتبره البعض بادرة التحوّل في علاقة الولايات الأمريكية مع العراق، من خلال تسويق صورة جديدة للعراق كعدو بعد فترة صداقة ودعم خلال حربه مع إيران[5].

وعلى صعيد آخر، ظل فرط الشهوة الجنسية من بين أبرز الصفات الملتصقة بالعرب والمسلمين في هوليوود، فيظهرون تارة كخاطفي النساء بيض العرق، أو تجار جواري، أو سلاطين مولعين بالحريم. ويعتبر فيلم «حريم» (Harem) سنة 1986 من بين تلك

---

(1) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص27.

(2) بشار ابراهيم وآخرون، الإرهاب والسينما: جدلية العلاقة وإمكانات التوظيف، مدارك، بيروت: 2010، ص 151-152.

(3) أحمد جاب الله، سيميائية الصورة الإعلامية في ظل الصراع الحضاري، في مؤتمر: ثقافة الصورة في الإعلام والاتصال، جامعة فيلادلفيا، الأردن، أبحاث منشورة، عمان، دار مجدلاوي: 2008، ص 32.

(4) أحمد رأفت بهجت، الشخصية العربية في السينما العالمية، مطبوعات نادي القاهرة للسينما، القاهرة: 1988، ص96.

(5) سليمان صالح، وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي، مرجع سابق، ص 115.

الأفلام التي جسّدت هذه الصورة المشوّهة، حيث شارك في بطولته الممثل المصري «عمر الشريف» الذي أدّى دور سلطان مهووس بالجنس، يخطف النساء الأجنبيات ويحشدهن في جناح حريمه لإطفاء غرائزه[1].

أمّا فيلم «الشيخ» (The Sheik) سنة 1921، فقد حافظ على صورة العربي باعتباره مجبولا على خطف النساء ذوات البشرة البيضاء لإثبات فحولة خرافية، بالإضافة إلى صفات الغدر والاغتصاب والسرقة والقتل[2].

وفي فيلم «العربي» (The Arab) سنة 1924، حيث يحارب بطل الفيلم (شخصية عربية) جحافل الأتراك ليفوز بقلب ابنة مبشّر أمريكي، وصوّرته كمتخلف يهوى القتل الجماعي، ويمتلك عنادا شرسا مفعما بالدموية من أجل الحصول على أسلحة دمار شامل[3].

وفي السبعينيات، وإثر القرار التاريخي لحضر النفط العربي سنة 1973، وما أعقبه من تداعيات على مستوى العلاقات العربية الغربية، أُنتجت العديد من الأفلام المشوّهة لصورة العرب وتحديدا السعوديون، ففي فيلم «الشبكة التلفزيونية» (Network) سنة 1976، ظهر السعوديون كمتعصّبين يسعون إلى السيطرة على أكبر شبكة تلفزيونية في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي فيلم «إعادة توظيف الأموال» (Rollover) سنة 1981، قُدّموا كفرقة شريرة تسعى إلى تدمير الاقتصاد الأمريكي عبر فتح حسابات سرية لشراء الذهب وزعزعة العملة الأمريكية. وفي فيلم «البروتوكول» (Protocol) سنة 1984، يُصرّ أمير إحدى دول الخليج على مبادلة حسناء أمريكية وضمّها إلى حريمه مقابل السماح ببناء قاعدة عسكرية أمريكية[4].

وفي فيلم «العودة إلى المستقبل» (Back To The Future)، في جزئه الصادر سنة 1985، أظهر أحد المشاهد هجوما مسلحا على أبطال الفيلم من طرف إحدى الجماعات الليبية، يعكس صورة نمطية عن الليبي الإرهابي والشرير والعدو للولايات المتحدة، خاصة وأن فترة إنتاج الفيلم اقترنت بخلاف سياسي شديد بين الولايات المتحدة ونظام «القذافي» آنذاك.

وفي فيلم «قواعد الاشتباك» (Rules Of Engagement)، المشار إليه سابقا، والذي عُرض أول مرة سنة 2000، فقد تم تقديم صورة قاتمة عن العرب والمسلمين، وأظهرهم على أنهم أشرار متطرّفون ويكنّون الحقد والعداء للولايات المتحدة الأمريكية، لدرجة أن بعض النقاد اعتبروه تنبؤا بأحداث 11 سبتمبر 2001، رغم اختلاف موضوع الأحداث[5].

وقبل «قواعد الاشتباك»، أُنتج فيلم «أرمغدون» (Armageddon) سنة 1998 ليظهر حقد القادة العرب على الولايات المتحدة الأمريكية، ففي بداية الفيلم، يظهر سائق سيارة أجرة يتحدّث عبر الهاتف، ويقول بأن حركة المرور في نيويورك متوقفة بسبب قنابل زرعها الإرهاب في المدينة، ومن ثم يصرخ من النافذة قائلا «صدام حسين يفجرنا»[6].

---

(1) أحمد جاب الله، مرجع سابق، ص 32.

(2) بشار ابراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص165.

(3) المرجع نفسه، ص166.

(4) المرجع نفسه، ص167.

(5) سلطان القحطاني، صورة العرب في السينما الأمريكية بعد عصر الاستشراق، في مؤتمر: ثقافة الصورة في الإعلام والاتصال، جامعة فيلادلفيا، الأردن، أبحاث منشورة، عمان، دار مجدلاوي: 2008، ص 287.

(6) https://www.alaraby.co.uk/entertainment/2016/11/21 /قبل-ذا-سيمبسونز-أفلام-تنبأت-بالمستقبل

وحتى فيلم «القرار الإجرائي» (Executive Decision) سنة 1996، قد استبق هجمات سبتمبر، بتصويره مجموعة إرهابية فلسطينية تختطف طائرة وتتوجّه بها إلى هدف مركزي في واشنطن[1].

وفي إحدى مشاهد فيلم «ثور» (Thor) المنتج سنة 2011[2]،يظهر محقق وهو يحاول استجواب رجل من الفضاء الخارجي عن مصدر مهاراته القتالية وقواه الخارقة، فيسأله: «هل تلقيت تدريبك في أفغانستان، أو باكستان، أو الشيشان؟»، وهي دلالة رمزية على أن البلدان الإسلامية التي تُعرف إعلاميا بأنها بؤر التوتر في العالم، هي أول ما يخطر على بال الفرد الأمريكي عند الحديث عن مصدر أي تدريب لانظامي مسلح معادي للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي فيلم «القبطان فيليبس» (Captain Phillips) سنة 2013[3]، الذي عالج قصة مقتبسة عن واقع حقيقي لباخرة أمريكية تعرضت لهجوم قراصنة صوماليين، فرغم أنّ الأحداث ليست مستوحاة من محض الخيال، إلا أن الفيلم بالغ في تصوير همجية الصومال وأهلها وجعل ساحلها يعجّ بالقراصنة الذين يتنافسون على اختطاف السفن الغربية المارة من هناك، مع التركيز على العداء الخاص الذي يكنّه القراصنة للسفن الأمريكية تحديدا، ودليل ذلك المشهد الذي عرض حالة الفرح التي أثلجت صدور المختطِفين عند علمهم بأن السفينة المختطَفة أمريكية.

وفي فيلم «سقوط البيت الأبيض» (Olympus Has Fallen) الصادر سنة 2013، ورغم أنّ الفيلم لم يتّهم العرب بالإرهاب، بل الكوريون الشماليون، إلاّ أن الفيلم تخلله مقطع لنشرة إخبارية ذكرت فيه بأن مئات الناس في الشرق الأوسط قد خرجوا إلى الشوارع فرحين بالهجوم الكوري على البيت الأبيض، وأحرقوا العلم الأمريكي هناك. في دلالة واضحة على أنّ العرب حتى لو لم يتحمّلوا مسؤولية عملية إرهابية ضد الولايات المتحدة، إلا أنهم سيكونون من المؤيدين لها على الأقل، نظرا لحقدهم الشديد على تلك الدولة.

كما أن أفلام الكرتون الموجهة للأطفال، لم تقف محايدة إزاء حملات الإساءة للعرب والمسلمين، ومن أبرز أمثلتها فيلم «علاء الدين» (Aladdin) سنة 1992، الذي رسم صورة المسلم العربي بأنّه زير نساء مزواج، يسعى إلى تحقيق المتعة الجنسية في المقام الأول، مع التلميح بأنّ خلفية تلك السمة هي العقيدة الإسلامية[4].

وكمثال واضح عن صورة العربي العدواني والبربري، تقول المقدمة الغنائية للفيلم المذكور: «آه، أنا قادم من أرض...من مكان بعيد...حيث تكثر قوافل الجمال، وحيث يقطعون أذنيك إذا لم يعجبهم وجهك...إنه عمل بربري، ولكن، إنه وطني».

وقد علّق الباحث جاك شاهين على فيلم «علاء الدين»، مبرزا أنّه يعكس الحديث الأسطوري عن العرب في السينما الأمريكية، وما يتضمنه من صور نمطية عن الخيام والصحراء، والسحر، والراقصات شبه العاريات[5].

---

(1) بشار ابراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص169.

(2) http://www.allocine.fr/film/fichefilm_gen_cfilm=129477.html

(3) http://www.allocine.fr/film/fichefilm_gen_cfilm=191696.html

(4) أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص24.

(5) عبد الجبار ناصر، مرجع سابق، ص244.

وفي ذات الصدد، قدّم الفيلم الكرتوني «أمير مصر» (The Prince Of Egypt) سنة 1998، والذي تناول قصة سيدنا موسى عليه السلام، صورة دينية مغلوطة عن المصريين والعرب عموما، من خلال الترويج لفكرة تفوّق بني إسرائيل على باقي الأعراق[1].

8. خاتمة:

إن احتكاك الغرب بالعرب سواء بصورة مباشرة من خلال التجارة أو الحروب، أو غير مباشرة من خلال وسائل الإعلام، لم يساهم إلا في ترسيخ صورة مقولبة عن الشرق. وحتى إن حاولت بعض الكتابات نكران هذا التشويه أو التقليل من شأنه، فإن تداعياته ظاهرة للعيان خاصة بعد هجمات سبتمبر 2001 حين أصبح الاسم العربي أو المسلم مقترنا بالإرهاب .

بعيدا عن نظرية المؤامرة، لا يمكن الجزم بوجود آلية سياسية ممنهجة لبعث سيرورة التشويه ضد الشرق، لكن في ذات الإطار لا يمكن استبعاد فرضيتها أيضا. ومن جهة أخرى، لا يجوز الاكتفاء بدور الضحية وتوجيه التهم للغرب عن ضعفنا كعرب وكمسلمين، «ازدراء الآخر» آلية ناجحة فقط مع «آخر» ضعيف، لذلك وجب على كل الجهات السياسية والاقتصادية والإعلامية والأكاديمية في العالم العربي والإسلامي، توحيد الرؤى وتسطير استراتيجية شاملة كفيلة بضمان «حق الرد»، لا بالإساءة وإنما بتصحيح المفاهيم الخاطئة في الذهن الواعي وللاواعي للفرد الغربي.

9. قائمة المراجع:

- أحمد جاب الله، سيميائية الصورة الإعلامية في ظل الصراع الحضاري، في مؤتمر: ثقافة الصورة في الإعلام والاتصال، جامعة فيلادلفيا، الأردن، أبحاث منشورة، (عمان: دار مجدلاوي، 2008).
- أحمد رأفت بهجت، الشخصية العربية في السينما العالمية، (القاهرة: مطبوعات نادي القاهرة للسينما، 1988).
- أحمد عبد الرحمن موسى، الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين، (مكة المكرمة: زهور المعرفة والبركة، 2013).
- إدوارد سعيد، الاستشراق، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981).
- أديب خضور، صورة العرب في الإعلام الغربي، (دمشق: المكتبة الإعلامية، 2009).
- الصادق رابح، في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام، مقال منشور في: مجلة الصورة والاتصال، عدد 1 و2، (جامعة وهران: مخبر الاتصال الجماهيري وسيميولوجية الأنظمة البصرية، سبتمبر 2012).
- إيلين هاغوبيان، استهداف العرب والمسلمين، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: العبيكان، 2006).
- بشار ابراهيم وآخرون، الإرهاب والسينما: جدلية العلاقة وإمكانات التوظيف، (بيروت: مدارك، 2010).
- جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ترجمة خلدون النبواني، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).
- رجب البنا، تشويه الإسلام صناعة قديمة، (القاهرة: مجلة أكتوبر، 3 نوفمبر 2002).
- رجب البنا، تشويه القرآن في ترجمته على يد أعدائه، (القاهرة: مجلة أكتوبر، 8 ديسمبر 2002).

[1] أحمد عبد الرحمن موسى، مرجع سابق، ص25.

- سلطان القحطاني، صورة العرب في السينما الأمريكية بعد عصر الاستشراق، في مؤتمر: ثقافة الصورة في الإعلام والاتصال، جامعة فيلادلفيا، الأردن، أبحاث منشورة، (عمان: دار مجدلاوي،2008).
- سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، (عمان: مكتبة الفلاح، 2005).
- سليمان صالح، وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي، (عمان: مكتبة الفلاح، 2011).
- صادق جلال العظم، الاستشراق والاستشراق معكوسا، (بيروت: دار الحداثة، 1986).
- عامر وهاب خلف العاني، الإعلام ودوره في معالجة ظاهرة الإرهاب والموقف من المقاومة، (عمان: دار الحامد، 2013).
- عبد الجبار ناصر، ثقافة الصورة في وسائل الإعلام، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2011).
- فيكتور أرتيموف، الطبيعة الموضوعية للأنماط المقولبة واستخدامها في الدعاية الامبريالية في علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية، ترجمة نزار عيون السود، (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1984).
- لخضر خلفاوي، العلمانية العمياء: عظماء التاريخ الغربي يمجّدون النبي محمد...وحثالاته يسبونه، متوفر عبر الأنترنت: www.elwatandz.com/culture/23891.html
- محمد أحمد محمدين، صراع الحضارات هل يتحول إلى مواجهة بين الأديان؟، (مكة: جريدة العالم الإسلامي، 6 نوفمبر 1995).
- مراد هوفمان، العقلية الأوروبية والإسلام، (لندن: جريدة الشرق الأوسط 14 مارس 1994).
- مراد هوفمان، وضع الإسلام في ألمانيا، (القاهرة: جريدة الأهرام المصرية، 25 مارس 1995).
- معالي عبد الحميد جودة، الخطر الإسلامي ولائحة الألوان، جريدة العالم الإسلامي، (مكة: 31 جويلية 1995).
- موسى الفهد وسؤدد الألوسي، وسائل الإعلام والحرب، (عمان: دار أسامة، 2012).
- ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000).
- يحي الشيخ صالح، الإسلام بعيون غربية: الخوف والتزييف، في مؤتمر: ثقافة الخوف، (عمان: جامعة فيلادلفيا، 24-26 نيسان/ أبريل 2006).

- Bernard Lewis, L'islam en Crise, (Paris: Gallimard, 2003).
- Bernard Lewis, the Roots of Muslim Rage. Available at: http://www.theatlantic.com/magazine/archive/1990/09/the-roots-of-muslim-rage/304643/
- Bud Khleif , Distortion of Islam and Muslims in American Academic Discourse .In : Cultural Diversity and U.S Media, ed . Yahia Kamalipour and Theresa Carilli, (New York: State University of New York Press, 1998).
- Erich Von Follath, Wer War Mohammed? Das Geheimnis Des Islam. Available online at : http://www.spiegel.de/spiegel/print/d-19337202.html
- Jack Shaheen, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People. In: The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, APSS 588, (California: Sage, July 2003).
- Glenn Perry, Treatment of the Middle East in American High School Textbooks, Journal of Palestine Studies, vol 4, no 3, (California: University of California Press, 1975).
- Ibrahim Youssef, the Islamist Trojan Horse. Available Online at :

http://www.nysun.com/foreign/islamist-trojan-horse/63064/

- Nasser Sarre, the Arabs and The English, (London: Longman, 1979).
- Nasser Sarre, The Image of the Arabs in American Popular Culture, PHD, (Illinois: University of Illinois, 1962).
- Neil Postman, Amusing Ourselves to Death: Public Discourse in the Age of Show Business, (New York: Penguin, 1993).
- Paul Martin Lester, Images That Injure: Pictorial Stereotypes in the Media, (California: Praeger, 1996).
- Robert Spencer, Islam Unveiled: Disturbing Questions about the World's Fastest-Growing Faith, (San Francisco: Encounter Books, 2003).
- Satoshi Kanazawa, The Evolutionary Psychological Imagination, Why You Can't Get a Date on a Saturday Night and Why Most Suicide Bombers Are Muslim. In: Journal of Social, Evolutionary, and Cultural Psychology, Vol 1, Issue 2, (United States: North Eastern Evolutionary Psychology Society, 2007).
- Shelley Slade, The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes. In: Middle East Journal, Vol 35, No.2, (Washington DC: Middle East Institute, 1981).
- Stephen Prothero, Muhammad On The High Seas .Available Online at : http://www.wsj.com/articles/SB124054446854951883
- Steven Fish, Why Is Terror Islamist ?, Available Online at : https://www.washingtonpost.com/blogs/monkey-cage/wp/2015/01/27/why-is-terror-islamist/
- William Leuchtenburg, The American Perception of the Arab World, In: George Atiyeh, Arab and American Cultures, (Washington D.C: American Entreprise Institute for Public Policy Research, 1977).
- http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2006/2/26التصوير-كوسيط-لخطاب-الكراهية/
- https://www.alaraby.co.uk/entertainment/2016/11/21 قبل-ذا-سيمبسونز-أفلام-تنبأت-بالمستقبل/
- http://www.allocine.fr/film/fichefilm_gen_cfilm=129477.html
- http://www.allocine.fr/film/fichefilm_gen_cfilm=191696.html
- https://grabien.com/file.php?id=126473
- http://www.democracynow.org/2007/10/19/reel_bad_arabs_how_hollywood_vilifies